

المؤتمر العالمي الثاني لبديع الزمان سعيد النورسي
"بديع الزمان سعيد النورسي واعداد بناء العالم الاسلامي في القرن العشرين"
27 - 29 ايلول 1992 استانبول - تركيا

مفتاح اهداف الجمهورية في ضوء الافكار السياسية والاجتماعية لبديع الزمان

البروفسور الدكتور ميم كمال أكه

جامعة بوغاز إجي "البوسفور"*

ان قول بديع الزمان "انني شخص متدين ومن اتباع النظام الجمهوري" يشير الى النقطة التي ستصل اليها البشرية التي تخطو الآن نحو القرن الحادي والعشرين، وكأن هذا القول كان نابغاً في تلك الايام من اكتشاف قانون الهي.

هناك حقيقة لا يمكن النقاش حولها وهي ان بديع الزمان سعيد النورسي عندما تكيف للمرحلة التي اطلق عليها مرحلة "سعيد الجديد" نذر نفسه تماماً لتبليغ ونشر "الحقائق الايمانية". وغاية هذه المحاضرة هي الاشارة وبشكل خطوط عامة الى مواصفات الوسط السياسي والاجتماعي التي خدمت هدفه.

ولا شك ان الباحثين عندما يقومون بمسح وتدقيق رسائل النور التي ألفها بديع الزمان سيعثرون على خيوط المواضيع الخارجة عن ساحة الالهيات وعلى آرائه في تلك المواضيع.

لقد كان "سعيد القديم" في وسط المعترك السياسي في مرحلة الاستبداد ومرحلة المشروطية الثانية للدولة العثمانية. وبجانب نشاطه السياسي فقد اصبح قائداً لقوة الميليشيا التي كانوا يطلقون عليها اسم "ذوو القبعات اللبادية"، وعندما استولت القوات الروسية والارمنية - المتعاونين معاً - على شرقي الاناضول دخل في قتال معهم وهو على رأس هذه الميلشيات.

لقد بذل بديع الزمان جهوده في كل صعيد من الاصعدة التي اعتقد انها ضرورية لخدمة سلامة العالم الاسلامي ولخدمة دعوى الاتحاد الاسلامي، ذلك لان غايته كانت خدمة الانسان وخدمة الانسانية.

ان الانسان حسب رأي الاسلام هو "اشرف المخلوقات"، وحسب رأي المسلمين فان هذا الشرف يتعاضم بالنسبة اليهم لكونهم امة "حبيب الله" الذي خلقت الكائنات من أجله. وهكذا فان

للمسلمين حقوقاً مختلفة في هذه الحياة وعليهم مسؤوليات أيضاً. من جملة هذه الحقوق ان المسلمين لائقون "للمدينة". فاذا وضعنا نصب اعيننا كيف ان العالم الاسلامي كان يعاني آنذاك من الضعف الاقتصادي ومن سيطرة المستعمرين من الناحية السياسية سهل علينا معرفة لماذا لم يكن بديع الزمان راضياً عن وضع المسلمين.

لنترك الكلام في هذا الموضوع اليه:

"لما كانت المدينة الحقيقية تسعى لترقية النوع الانساني وتكامله واخراج هذا التكامل من القوة الى الفعل فان طلب المدينة والسعي اليها يكون - انطلاقاً من هذه النقطة يعد سعياً نحو الانسانية.

ثم ان ابتلائي بمحبة معنى المشروعية هو:

ان المدخل الاول لتقدم آسيا والعالم الاسلامي في المستقبل هو المشروعية المشروعة والحرية الموجودة داخل نطاق الشريعة وان مفتاح خط الاسلام وسعده ورقيه موجود في مستوى المشروعية"1.

يتبين مما جاء اعلاه بشكل واضح ان المدينة في رأيه شرط في تقديم الخدمة للانسان عندنا، وان هذه المدينة قد فقدت عندنا، ولا سترجاعها فان العالم الاسلامي يجب ان ينتقل الى الادارة المشروعية، اما الارضية التي ستكون عليها هذه الحرية فهي الحرية التي يجب ان تكون مناسبة وملائمة للعقائد الاسلامية.

ويستمر بديع الزمان كمفكر ادرك حركة العصر فيوضح بكل جلاء بان المشروعية والحرية ستتواجدان ضمن الاسس الملوية. الا ان بنية الحياة الملوية التي ستتشكل يجب الا تسمح ابداً للتيار الذي يصفه بـ "الفكرة العصبية" واحياناً بـ "التيار السلبي" والذي يطلق عليه اسم "المرض الافرنجي"، ذلك لان مثل هذا التيار يجلب التفرقة الى العالم الاسلامي.

ويقول عن الفكرة القومية الايجابية بانها "القومية الايجابية نابعة من حاجة داخلية للحياة الاجتماعية، وهي سبب للتعاون والتساند، وتحقق قوة نافعة للمجتمع، وتكون وسيلة لاسناد اكثر للاحوة الاسلامية. هذا الفكر الايجابي القومي، ينبغي ان يكون خادماً للاسلام، وان يكون قلعة حصينة له، وسوراً منيعاً حوله، لان يحل محل الاسلام، ولا بديلاً عنه، لان الاخوة التي يمنحها الاسلام تتضمن الوفاء انواع الاخوة. وانها تبقى خالدة في عالم البقاء وعالم البرزخ"2.

ويتمنى بديع الزمان ان تكون خدمة الدين من ضرورات الثقافة السياسية والتقليد السياسي في ادارة الجمهورية التي يراها الشكل المتطور والمتكامل للمشروطية. وهو يرى ان الشرق اي المجتمعات الاسلامية متجمعة حول الاخلاق والامور المعنوية والثقافية، وان نهوضنا الاجتماعي ينطلق من هذه النقطة الديناميكية. لذا فان الاسلام - الذي يشكل القاعدة الاساسية للثقافة - يجب ان يكون الاطار الذي يبين حدود الحرية، وان تتم المحافظة عليه لكونه يشكل المعايير والقواعد التي تؤمن احياء الامة وبعثها.

ونجد في البرقية التي كتبها الى رئيس الجمهورية آنذاك "جلال بايار" والمدرجة في كتابه "ملحق اميرداغ" ان افكاره هذه كانت تشكل المسار الرئيس لدعوته:

"اننا لانقوم باستغلال الدين من اجل السياسة، لاننا لانبغي سوى الرضا الالهي ولانجعله آلة لشئ لا للدنيا ولا للسلطنة وهذا من اسس دعوتنا..

اجل! اننا لانعمل على استغلال الدين في سبيل السياسة ولكننا ضد الذين يستعملون السياسة ضد الدين وفي سبيل الاحاد وبشكل متعصب. ولو حدث ما يجبرنا ويضطرنا النظر في السياسة لكانت وظيفتنا آنذاك هي جعل السياسة في يد الدين وصديقة له، وبذلك نكسب لآخواننا في هذا الوطن محبة واخوة ثلاثمئة مليون من الاخوة المسلمين"3.

وقد بين بديع الزمان هذا في مجلس النواب في عهده بشكل واضح واثار الى ان الروح الساندة في "القوى المليية" التي قادت حرب الاستقلال هي الروح الاسلامية، وقد ادت هذا الى انعكاسات ايجابية في العالم الاسلامي وكانت سبباً لورود المساعدات منه.

وهو يوصي بان يتم الاستمرار على النهج نفسه بعد ان تم انقاذ البلد وانشاء الجمهورية، وهو لا يخفى قلقه من انتشار وتوسع بعض التيارات في تركيا مثل المادية والوضعية التي سرت اليها.

"انني انظر الى الحكومة الجمهورية - التي الجأها الزمان الى اصدار بعض القوانين المدنية - كحكومة اسلامية لا يمكن ان تسمح لاية تيارات الحادية ضارة للوطن وللامة".

ويكرر بان الانسانية والمدنية والجمهورية لا يمكن ان تترقى دون ان تطبق "المشورة الشرعية".

في السنوات الاخيرة للدولة العثمانية لم يكن هناك فرق كبير بين اعلان المشروطية

واعلان الحرية. والفروق الضئيلة بينهما هي ان الحرية نظرية بينما المشروطة هي التطبيق العملي لها ثم كونها تعتمد على المؤسسات.

وبعبارة اخرى ان اي نظام "Regime" تعتمد فيه الحرية على مؤسسات معينة يحمل خصائص المشروطة. وعندما يتحدث بديع الزمان عن "المشروطة" فانه يضيف اليها دائماً صفة "الشرعية". ويقصد من ذلك ان المشروطة يجب ان تراعي "الشرع"، اي تراعي الاسس الاسلامية. والعناصر التي ستذكر هنا هي مواصفات "المشروطة" التي تؤطرها الشريعة.

يقول بديع الزمان عندما يُعرّف المشروطة:

"ان كانت المشروطة والقانون الاساسي هما الموضوع الذي سمعتم عنه فهما عبارة عن المشورة الشرعية. تلقوهما بترحاب وحافظوا عليهما"4.

لقد اثبت التاريخ ان الادارة البرلمانية هي وحدها القادرة على الوقوف امام الادارة العشوائية والتصرفات الشخصية، فالبرلمان الذي يتكون من ممثلي الامة سيتخذ القرارات التي تكون في صالح الامة. فتجمع الصلاحية في البرلمان يكمن في اساسه قصد تأمين حرية الامة وتأمين العدالة.

ويذكر بديع الزمان على الدوام "ان المشروطة نظام دستوري. فهو عندما يتكلم عن المشروطة والقانون الاساسي"5. نراه يذكر المفهومين دائماً معاً وكأنهما قرينان.

وعندما يقول بديع الزمان "يحيا القانون الاساسي للقرآن" فانه يسجل بان جميع المؤسسات الاجتماعية تستند الى الاسلام.

اذا كانت القواعد التي تربط كل فرد - حاكماً كان ام محكوماً - وتنظم الحريات والمسؤوليات والقواعد الاساسية للحقوق في اي مجتمع معروفه ومقبولة من قبل الجميع، فان هذا يؤدي الى استئصال الكثير من سوء الاستعمال والى استقرار نظام الدستور - الذي يعد المنظومة الكلية للقواعد - والى استمراره.

ومن هذه الزاوية يشير بديع الزمان الى ان المشروطة موجودة في ماهية الاسلام. واستناداً الى هذا الفهم الذي تبناه للنظرة السياسية القائمة على سيادة القانون، فانه يقدم صورة للبنية السياسية المقامة على الحرية وعلى العدالة.

ان الانموذج الذي اعطى له مثلاً من السيرة النبوية ومن عهود الخلفاء الراشدين الاربعة

والقائم على عناصر العدالة والمشورة وسيادة القانون ليس في الحقيقة الا جمهورية مثالية.
ان بديع الزمان الذي ابان عن رأيه في النظام الجمهوري، واقامه على الاسس الرئيسية
المذكورة اعلاه، وذلك قبل تأسيس الجمهورية التركية قد سبق الى المحاكم عدة مرات بعد عام
1923 وذلك بتهمة معاداة الجمهورية.

ففي محكمة الجنايات الكبرى في مدينة "اسكي شهر" التي سبق اليها عام 1935 سئل عن
رأيه في النظام الجمهوري فاجاب:

"لقد كنت جمهورياً متديناً وذلك - باستثناء رئيس محكمة "اسكي شهر" - قبل ان تولدوا
انتم، وكتاب "السيرة الذاتية" شاهد على ذلك"6.

وكدليل على ذلك ذكر بانه عندما كان طالب علم في مدينة "سمرت" كان يعطى الحساء
الذي يجلبونه له الى النمل ويكتفي هو بشرب ماء الحساء. وعندما سئل عن ذلك قال لهم:
"ان النمل والنحل يعيشون في نظام جمهوري. واحتراماً مني لنظامهم الجمهوري فاني اقدم
لهم حبات الارز في الحساء"7

ان بديع الزمان الذي استصوب النظام الجمهوري بهذا النمط وبهذا المحتوى، اضطر احياناً
الى ذكر وجهة نظره في الجمهورية العلمانية التي تأسست في تركيا عام 1923 فهو يرى ان اية
جمهورية مقامة على النمط العلماني الغربي يجب ألا تأخذ اي موقف معادٍ للدين.

وفي ضوء التجارب المرة الماضية، فقد اصبح من المبادئ المعروفة في العالم اليوم،
ولاسيما في البلدان الصناعية المتقدمة للغرب، ان المجتمع الذي يتحرك بالعوامل الاقتصادية فقط
لايمكنها المحافظة على الديمقراطية وادامتها، لان الافراد المستقيمين الفضلاء المزودين بالثقافة
وبالدين هم الذين يستطيعون ادامة الديمقراطية والمحافظة عليها.

اننا نستطيع ان نقول بان قول بديع الزمان:

"انني شخص متدين ومن اتباع النظام الجمهوري" يشير الى النقطة التي ستصل اليها
البشرية التي تخطو الآن نحو القرن الحادي والعشرين. وكأن هذا القول كان نابعاً في تلك الايام
من اكتشاف قانون الهي.

* أ.د. ميم كمال أكه. جامعة بوغاز اجي "البوسفور": ولد في اسطنبول عام 1955 وبعد اكماله الثانوية

في ثانوية "شيشلي ترفي ليسسي" تخرج من جامعة "روبرت كولج" الامريكية في اسطنبول. ثم اكمل دراسته العالية في موضوع الاقتصاد والتاريخ في جامعة كمبرج في انكلترا عام 1977. حصل على درجة الماجستير والدكتوراه من جامعات سوساك وكمبرج وجامعة اسطنبول. عمل عام 1979 في دائرة فلسطين التابعة لمجلس الامن الدولي. نشر مقالات عديدة في المجالات في الخارج وله كتب حول التاريخ العثماني في العصر الحديث. في سنة 1984 اصبح مساعد استاذ وفي سنة 1985 اصبح مستشاراً للمدير العام لمؤسسة الراديو والتلفزيون، في فرع التاريخ السياسي لتركيا حيث هيا لهذه المؤسسة مسلسلات تاريخية عديدة. في عام 1990 رقي الى مرتبة استاذ "بروفسور". ويعمل حالياً في سلك التدريس في جامعة "بوغاز اجي"، ويكتب مقالات تاريخية في احدى الجرائد اليومية، وهو عضو في العديد من مجالس ادارات الاوقاف الثقافية. والى جانب نشاطه في التلفزيون فانه مستمر في ابحاثه الفكرية والتاريخية وله مؤلفات بالتركية وبالانجليزية تزيد عن عشرة، ومقالات علمية عديدة منشورة.

1- بديع الزمان سعيد النورسي: "المحكمة العسكرية العرفية" ص/ 41

2- بديع الزمان سعيد النورسي: "المكتوبات" ص/ 415.

3- بديع الزمان سعيد النورسي: ملحق اميرداغ" القسم الثاني ص/ 16

4- بديع الزمان سعيد النورسي: "المحكمة العسكرية العرفية" ص/ 13

5- بديع الزمان سعيد النورسي: المصدر السابق ص/ 13

6- بديع الزمان سعيد النورسي: "الخطبة الشامية" ص/ 53

7- بديع الزمان سعيد النورسي: "سيرة ذاتية" ص/ 332